ISSN :2588-2384 مجلة المعيار

مجلد: 23 عدد: 45 السنة: 2019

نقد اليهودية عند السَّموأل المغربي من خلال كتابه إفحام اليهود

د. الشيخ خليفي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

khelificheikh@gmail.com

رابح بوترفاس

طالب دكتوراه

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

تاريخ الوصول: 2018/09/06 / القبول:2019/01/02/ النشر على الخط:2019/01/05

Received: ………. / Accepted: ……….. / Published online: …….

ملخص

يحاول هذا البحث التعريف بأحد أهم مؤلفات المسلمين في دراسة الأديان عموما ، و اليهودية على وجه الخصوص ، و هذا من خلال دراسة نقدية لهذه الأخيرة ، منهجا و قضايا ، و بيان قيمته العلمية .

وقد بيَّن هذا البحث أثر كتاب "إفحام اليهود" لأحد كبار علماء اليهود الذين أسلموا ، وهو السموأل بن يحيى المغربي أو شموئيل بن يهوذا بن آبون (اسمه العبري في بيئته في التي ولد فيها) والذي كانت وفاته قريبا من سنة 570 هـ ، في كتابات علماء المسلمين حيث نقلوا فصولا مطوَّلة منه ، و ضمَّنوها كتبهم ، كما كان له أثره في البيئة اليهودية ، و النقد الغربي الحديث للكتاب المقدس .

الكلمات المفتاحية: السَّموأل المغربي ، إفحام اليهود، اليهودية، نقد، توراة، عزرا

Criticism of Judaism at the Al-Samaw'al al-Maghribī through his book Ifḥām al-Yahūd (Silencing the Jews)

Abstract

This paper aims at defining one of the most important books of the muslims in the field of study of religions in general and judaism in particular, through a critical study of this latter in its methods, issues and scientific value.

This study has shown the impact of the book of Al-Samaw'al al-Maghribī, one of the leading Jewish writers who converted to Islam, in the writings of Muslim scholars who copied long chapters of his writings and included them within their books. It has

shown his impact on the Jewish environment and the modern Western criticism of the Bible.
Key words: Al-Samawʾal al-Maghribī , Ifḥām al-Yahūd (Silencing the Jews), Judaism, Criticism, Torah, Izra

مقدمـة

يعاني العالم الإسلامي اليوم تأخرا كبيرا في العلوم الكونية منها والإنسانية، ومن أبرز العلوم التي تأخر فيها، و كان سابقا قد أسهم فيها بأعمال رائدة، علم الأديان، حيث قام علماء المسلمين بدراسة الأديان الأخرى، تأريخا ووصفا وتحليلا ومقارنة ونقدا... وتعدُّ اليهودية من أكثر الديانات التي اهتمت بها دراساتهم، ويحاول هذا المقال تسليط الضوء على أحد هذه المؤلفات، وهو كتاب "إفحام اليهود" لأحد كبار أحبار اليهود الذين أسلموا، والذي كان أيضا عالما مُبرِّزا في الرياضيات والطب والصيدلية وغيرها، والكِتاب وإن كان ذا طبيعة جدلية، على عكس بعض مؤلفات المسلمين الأخرى التي التزمت بالحكاية والوصف، كالملل والنحل للشهرستاني وتحقيق ما للهند للبيروني... فهذا لا ينفي قيمته العلمية، منهجا ومضمونا.

تحرك هذا البحث مجموعة من التساؤلات، من أهمها:

ما هي معالم حياة السموأل؟ وبم تميزت شخصيته العلمية؟ وما هي سمات منهجه النقدي لليهودية؟ وما هي أبرز قضايا هذا النقد؟ وأخيرا فيم تتجلى أهميته؟

ومحاولة للإجابة على هذه التساؤلات، صغنا بحثنا وفق الخطة الآتية:

أولا- ترجمة السموأل

ثانيا- التعريف بكتاب إفحام اليهود

ثالثا- منهج نقد اليهودية في الكتاب وأهم قضاياه

رابعا- أهمية النقد

ISSN :2588-2384 مجلة المعيار
مجلد: 23 عدد: 45 السنة: 2019

اعتمدنا في دراستنا لهذا الكتاب على طبعة "محمد عبد الله الشرقاوي" ، وهذا رغم عودتنا لطبعات أخرى منه[1]، حيث تميزت طبعته بذكر النُّسخ التي اعتمدها في التحقيق و الفروقات بينها، إضافة لخبرته في تحقيق عدة مؤلفات إسلامية أخرى في مجال الأديان، لم يتعرف الدارسون في البيئة العربية عليها إلا من خلال تحقيقاته.

أولا- ترجمة السموأل

1- معالم حياتــه

اسمه العبري "شموئيل بن يهوذا بن آبون" "שמואל בן יהודה אבן אבון" وبعد أن انتقل إلى الإسلام ترك هذا الاسم، وتمسك باسمه العربي "السموأل بن يحيى المغربي"، وقد جرت العادة أن يكون لخاصة اليهود اسم عربي غير اسمهم العبري كما يذكر السموأل في سيرته[2] . وفي هذه السيرة الذاتية الماتعة يذكر لنا معلومات وتفاصيل عديدة عن حياته ونشأته وأسرته وثقافته وشيوخه... لكنه للأسف لم يخبرنا فيها عن تاريخ ولادته، والأمر نفسه نجده عند من ترجموا له، حيث لم يذكروا شيئا عن هذا التاريخ[3]. أما عن تاريخ وفاته فوجدنا أن جميع كتب التراجم التي ذكرت هذا التاريخ تجمع أنه كان "قريبا من سنة 570هـ"[4]، باستثناء صاحب الوفيات الذي حدده بسنة 576هـ[1]، ويضيف عبد اللطيف

---

[1] الطبعات الأخرى التي عدنا إليها، هي: بذل المجهود في إفحام اليهود، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، دار القلم/الدار الشامية، دمشق/بيروت، ط1، 1989

وبذل المجهود في إفحام اليهود، تقديم: محمد أحمد الشامي، دار بيبليون، باريس، د.ط، 2005

ومنامات السموأل ويليه بذل المجهود في إفحام اليهود، تح: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق، ط1، 2014

[2] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل/مكتبة الزهراء، بيروت/القاهرة، ط1، 1983، ص45-47

[3] المصدر نفسه، ص28، 29

[4] انظر: جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص161

البغدادي(ت629هـ) أنه توفي شابا[2]. أما عن النطاق الجغرافي لحياة السموأل، فقد وُلد في بغداد وعاش في سوريا والعراق وإيران[3]. وتوفي في مراغة[4] بإيران.

ويخبرنا السموأل في سيرته عن والديه ونسبه، حيث يقول: «وذلك أن أبي يقال له: "الرآب بن يهوذا بن آبون" من مدينة فاس التي بأقصى المغرب. والرآب لقب، وليس باسم، وتفسيره الحِبر، وكان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة... وكان اسمه المدعو به، بين أهل العربية: (أبا البقاء يحيى بن عباس المغربي)... وكان اتصاله بأمي ببغداد وأصلها من البصرة وهي إحدى الأخوات الثلاث المنجبات في علوم التوراة، والكتابة بالقلم العبري، وهنّ بنات (اسحاق بن إبراهيم البصري اللِّيوي)... وكان إسحاق هذا ذا علوم يُدرِّسها ببغداد، وكانت أمّهن (نفيسة بنت أبي نصر الداوودي) وهذا من رؤساءهم المشاهير، وذريته إلى الآن بمصر»[5].

وابن أبي اصيبعة الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره: أوجست ملر، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1995، مج2، ص31

وابن العبري، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص189

وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، مج1، ص132

وخير الدين الزِّركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج3، ص140

وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1975، ج1، ص800

[1] صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000، ج15، 276

[2] ابن أبي اصيبعة الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مج2، ص31

[3] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999، مج5، ص335

[4] موريتس شتينشنيدر، أدب الجدال والدفاع في العربية بين المسلمين والمسيحيين واليهود، تر: صلاح عبد العزيز محجوب إدريس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص34

[5] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص45، 46

وتذكر كتب التراجم أن السموأل ارتحل من بغداد إلى آزربيجان (بإيران حاليا)، وخدم بيت البهلوان، وأمراء دولتهم، وأقام بمدينة مراغة، وأولد أولادا هناك، سلكوا طريقته في الطب[1].

أعلن السموأل إسلامه يوم الجمعة في التاسع من ذي الحجة عام 558هـ، وكان هذا بمراغة، وكان قبل هذا يكتمه خوف أن يفجع والده فيه، وقد كان شديد الحب له، كثير البِرِّ به، إلى أن حالت الأسفار بينهما، وكان دافعه لإعلان إسلامه رؤيته للنبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث تم الإعلان في صباح ذلك اليوم. ويذكر أن سبب انتقاله كان "بدليل وبرهان وحجج قطعية"، أما المنام فكان تنبيها له على ما لا يحل له تأخيره بسبب والد أو غيره[2].

2- ثقافتـــه:

نشأ السموأل في بيت علم، فأبوه حبر يهودي مبرّز، وأمه من بيت علم وشرف عند اليهود، وقد كان السموأل الابن الوحيد بعد طول انتظار، وهذا ما زاد في اعتناءهما بتربيته، فقد شغله والده على صغر سنه باللغة العبرية، وعلوم التوراة وتفاسيرها، و بعد إحكامها وقد أكمل ثلاثة عشر سنة، شغله بالحساب والهندسة والطب وقد درسها عند كبار المتخصصين في ذلك العصر وقد أتى على ذكر أسماءهم في سيرته[3]. وعن استغراقه في طلب العلم وحبه له يقول: «وكان بي من الشغف بهذه العلوم والعشق لها، ما يلهيني عن المطعم والمشرب إذ فكرت فيها»[4]، وقد بدأ في التصنيف وهو في سن الثامنة عشر، « واتصلت تصانيفي في هذه العلوم، منذ تلك السنة وإلى الآن، وفتح الله علي كثيرا مما ارتجَّ على من سبقني من الحكماء المبرّزين فدونت ذلك لينتفع به من يقع إليه»[5].

---

[1] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي ، ص20
[2] المصدر نفسه، ص59
[3] المصدر نفسه، ص47-49
[4] المصدر نفسه، ص50
[5] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي ، ص50

كما كان له اهتمام كبير بكتب التاريخ والسيرة النبوية ومن الكتب التي يذكر مطالعته لها في سيرته: تجارب الأمم لابن مسكويه وتاريخ الرسل والملوك للطبري[1].

وسنذكر بعض الشهادات للذين أرَّخوا له عن تفوقه العلمي، خصوصا في العلوم الرياضية، وذكاءه الشديد، ونبدأ بمعاصره الموفق عبد اللطيف البغدادي (ت629هـ)الذي يذكر عنه: «بلغ في العدديّات مبلغا لم يصله أحد في زمانه، وكان حاد الذهن جدا، بلغ في صناعة الجبر الغاية ...»[2].

ويقول عنه الصاحب جمال الدين القفطي (646هـ) : «قرأ فنون الحكمة وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها، وكان عدديا هندسيا حقيقيا»[3].

ويقول عنه ابن أبي أصيبعة (ت668هـ) صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء: «كان فاضلا في العلوم الرياضية، عالما بصناعة الطب» [4].

والأمر نفسه تقريبا، الذي ذكره الصاحب، يذكره المؤرخ المسيحي ابن العبري (ت685هـ) : «من الحكماء المشهورين بالمشرق... قرأ فنون الحكمة وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها، وله في ذلك مصنفات وصنف في الطب...»[5].

من مؤلفاته: المفيد الأوسط في الطب، إعجاز المهندسين، بذل المجهود في إفحام اليهود، المنير في مساحة أجسام الجواهر المختلفة لاستخراج مقدار مجهولها، ونزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب في علم الباه[6].

---

[1] المصدر نفسه، ص52، 53

[2] صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، 276

[3] جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص161

[4] ابن أبي اصيبعة الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مج2، ص30

[5] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص188، 189

[6] عمر رضا كَحّالة، معجم المؤلفين، ج1، ص800

ثانيا- التعريف بكتاب إفحام اليهود

1- عنوان الكتاب وتوثيق نسبته

نصَّ السموأل على أنه وسم كتابه ب: "إفحام اليهود"، وذلك في مخطوطة "إسلام السموأل"، وهناك بعض مخطوطات الكتاب تعنون له ب: "بذل المجهود في إفحام اليهود"[1].

والكتاب صحيح النسبة إلى السموأل، حيث أنه ذكره في كتابه "قصة إسلام السموأل"، وأنه ألفه غداة إعلان إسلامه، كما أجمع من ترجموا له ومنهم معاصرون له على أنه ألف كتابا في "الرد على اليهود" بعد أن أعلن إسلامه[2]. بالإضافة إلى أن الفيلسوف اليهودي ابن كمونة ألف كتاب "تنقيح الأبحاث" خصيصا من أجل الرد على "إفحام اليهود" للسموأل وقد ذكره مرات عديدة في هذا الكتاب. كما قام المجمع الأمريكي للبحوث اليهودية، بنشره منسوبا لصاحبه، من دون قدح في هذه النسبة.

2- تاريخ التأليف

يقول السموأل عن هذا الأمر: «وعشية ذلك، أعني ليلة عيد النحر، ابتدأت بتحرير الحجج المفحمة لليهود، وألفتها في كتاب، وسميته بإفحام اليهود، واشتهر ذلك الكتاب، وطار خبره، وانتسخ مني في عدة بقاع نسخ كثيرة، بالموصل وأعمالها، وديار بكر، والعراق، وبلد العجم، ثم أضفت إليه -بعد وقت- فصولا كثيرة من الاحتجاج على اليهود من التوراة، حتى صار كتابا بديعا لم يعمل في الإسلام مثله، في مناظرة اليهود البتّة»[3]. وقد رأى السموأل النبي (صلى الله عليه وسلم) في ليلة الجمعة في التاسع من ذي الحجة عام 558هـ، وعندما أصبح أعلن إسلامه وكان هذا بمراغة. وفي الليلة الموالية شرع في تأليف كتابه، ومن كلامه يفهم أنه زاد فيه أمورا كثيرة لم يكن وضعها فيه في التأليف الأول.

---

[1] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص32، 33

[2] المصدر نفسه، 33

[3] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي ، ص71، 72

3- الغرض من تأليفه

ذكر السموأل الغرض من تأليفه في مفتتحه، حيث جاء فيه: «والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة، الرد على أهل اللّجاج والعناد، وأن تُظهر ما يعتورُ كلمتَهم من الفساد. على أن الأئمة —ضوعف ثوابهم- قد انتدبوا قبلي لذلك، وسلكوا في مناظرة اليهود، أنواع المسالك، إلا أن أكثر ما نوظروا به يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه، وقد جعل إلى إفحامهم طريقا، مما يتداولونه في أيديهم، من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه، عند تبديلهم، ليكون حجة عليهم، موجودة في أيديهم»[1].

4- محتوياته

احتوى هذا الكتاب على مقدمة وعدد من الفصول وخاتمة. ذكر في مقدمته أنه من الفطانة والرشاد الجِدُّ في البحث عن أحوال المعاد، والتأمل لما أخذه الآباء عن الأجداد، بعين الامتحان والانتقاد، فإن رآه فضيلة سما لإدراكها، وإن ألفاه رذيلة نجا من شراكها. وأنه لن يظفر بضالة الحق إلا ناشدوها، ثم ذكر غرضه من تأليف الكتاب، وهو ما تقدم ذكره، أما في خاتمة الكتاب، فذكر فيها أن اليهود يمتنعون عن تسليم الحقائق، ويسرعون إلى قبول الباطل وتصديق المستحيل، مستدلا بما ورد في تاريخ آبائهم المتضمن في أسفار التوراة، وأيضا بقصة غريبة جرت في زمانه ليهود بغداد[2].

أما فصول الكتاب، فهي كالآتي:

- فصل في إلزامهم النسخ بنص كتابهم.
- فصل فيما يحكونه عن عيسى عليه السلام.

---

[1] المصدر نفسه، ص 86

[2] حسب ما يذكر السموأل فيهود بغداد هم أذكى اليهود وأمكرهم، وأصبح عام وقوع هذه الحادثة يسمى بعام الطيران، حيث انتظر هؤلاء في إحدى الليالي طيرانهم على أجنحة الملائكة من سطوح بيوتهم إلى بيت المقدس! يمكن مقارنة ما ذكره السموأل بخصوص أهم شخصية في هذه الحادثة (ابن الرّوحي) مع ما ذكره الرحالة اليهودي الشهير بنيامين التُّطَيْلي (ت569هـ)، راجع: بنيامين بن يونة التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تر: عزرا حداد، تح: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق، ط1، 2014، ص258-263

- فصل في إبطال ما يدعون من محبة الله إياهم.
- فصل في ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم.
- فصل فيما يعتقدون في دين الإسلام.
- فصل معرب عن بعض فضائحهم.

ثالثا- منهج نقد اليهودية وأهم قضاياه

1- منهجه في النقد

يمكن أن نلخص أبرز معالم منهج النقد عند السموأل في الآتي:

- اتبع أسلوب الجدال والمناظرة، حيث يقول في مفتتح كتابه: «والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة، الرد على أهل اللّجاج والعناد... على أن الأئمة -ضوعف ثوابهم- قد انتدبوا قبلي لذلك، وسلكوا في مناظرة اليهود، أنواع المسالك، إلا أن أكثر ما نوظروا به يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه، وقد جعل إلى إفحامهم طريقا، مما يتداولونه في أيديهم...»[1]، فالسموأل يريد أن يكون كتابه في مناظرة اليهود وجدالهم بطريقة يرى أنها الأجدى في إفحامهم. وقد كان رده منطقيا واضحا مختصرا دقيقا، مستفيدا من ريادته في العلوم الرياضية والعقلية، كما وظف معارفه الطبية[2].

- اعتمد السموأل في نقده لليهودية نصوصها المقدسة في لغتها الأصلية "العبرية"، حيث كان يورد النص باللغة العبرية ثم يقوم مباشرة بعدها بترجمته للعربية، فهو حَبْرٌ مبرِّزٌ عالم بالتوراة والتلمود وغيرها من النصوص اليهودية، وهو ينبِّه إلى هذا الأمر في بداية كتابه، حيث يقول: «وقد جعل إلى إفحامهم طريقا، مما يتداولونه في أيديهم، من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه، عند تبديلهم، ليكون

---

[1] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص 86

[2] من أمثلة توظيف معرفته الطبية، عند رده على زعم كاتب التوراة حَبَل ابنتي لوط منه، حيث يقول: «وهذا حديث من لا يعرف كيفية الحَبَلِ، لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن في السن، قد غاب حسه لفرط سكره... وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أن يُعلق من أحدهم في ليلة، ويُعلق منه أيضا في الليلة الثانية» السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي ، ص151

حجة عليهم، موجودة في أيديهم»[1]. وهو الأمر الذي جعل علماء المسلمين يقتبسون فصولا من كتابه ويضمنوها في كتبهم، لمعرفتهم بكفاءة السموأل النادرة في هذا المجال.

- وظَّف النقد التاريخي، خاصة عند حديثه عن تبديل التوراة، حيث قام بنقدها نقدا خارجيا وآخر داخليا، وهو ما سنوضحه في العنصر الموالي.

- استخدم أسلوب الوصف الدقيق لواقع المجتمع اليهودي، والذي عاش وسطه السموأل طفولته وشبابه، وعرف أسراره وخباياه، ففي الكتاب تفصيلات دقيقة عن هذا المجتمع المتكتِّم الذي لا يريد لغيره الاطلاع على تفكيره ومعارفه وطريقة عيشه، ووصف لبعض عاداتهم الدينية الغريبة وغير المقبولة.

2- أهم قضايا النقد

أ- نقد المفهوم اليهودي للألوهية

يمكن أن نوجز نقد السموأل لمفهوم الألوهية عند اليهود من خلال الآتي:

- زعمهم أن الله يحبهم دون سائر الناس، وأن الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله إلاّ منهم: يردُّ السموأل على هذا الزعم بأن أيوب (عليه السلام) وهو نبي عندهم إلا أنه ليس من بني إسرائيل بإقرارهم أيضا. كما يرد احتكارهم محبة الله، بكفر جمهور بني إسرائيل أي التسعة أسباط والنصف الذين عبدوا الكبشين وقتلهم سليمان، كما أن التوراة نفسها تصرِّح «إن الأجنبي والصّريح النّسب منكم سواء عند الله»[2].

- لليهود الكثير من كفريات التجسيم، ومن ذلك: أن موسى صعد الجبل مع شيوخ أمته، فأبصروا الله جهرة، وتحت رجليه كرسي، منظره كمنظر البلور. ويزعمون أن اللوحين مكتوبان

---

[1] المصدر نفسه، ص 86

[2] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص121-123

بأصبع الله، وينسبون لله الندم، وهو كفر ويناقض ما يدفعون من البداء والنسخ، وهو في هذا كله يورد نصوصهم في لغتها الأصلية ويناقش تفسيرها. ويرى السّموأل أن علماءهم تهذبوا كثيرا عن معتقد آبائهم بما استفادوه من العقيدة الإسلامية وما تقتضيه من تنزيه[1].

ب - نقد عقيدة خلود الشريعة اليهودية (أو نقد إنكارهم النسخ)

من أهم أدلة السموأل في إلزام اليهود بالنسخ مايلي[2]:

- وجود شرع قبل التوراة، وقد أتت التوراة بزيادة على ذلك الشّرع السابق، حيث حرمت الأعمال الصناعية يوم السبت، بعد أن كانت مباحة، وهذا بعينه هو النسخ.

- في التوراة أن من مسّ عظما، أو وطئ قبرا، أو حضر ميتا عند موته، فإنه يصير نجسا، ولا سبيل لطهارته إلا رماد البقرة التي كان الهاروني يحرقها، فإن استغنوا عن الطهارة بذلك الرماد مع عجزهم عنه فقد أقرّوا بالنسخ لحال اقتضاها هذا الزمان، وإن لم يستغنوا عن ذلك أقروا بأنهم أنجاس أبدا ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة.

- في صلواتهم فصول تتضمن أدعية تدل على أنهم أضافوها بعد زوال دولتهم، وكذلك لهم أصوام تدل على ذلك (كالصوم في ذكرى إحراق بيت المقدس، وقتل جدليا، وصلب هامان..) وقد جعلوها فرضا عليهم، مع أنه ورد في التوراة: «لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئا ولا تنقصوا منه شيئا». وبزيادتهم تلك فقد نسخوا هذه الآية.

يضيف السموأل أنه ليس في النسخ مناقضة بين الأوامر، إنما تكون المناقضة عند من أمر بشيء وضده في زمان واحد، لا في زمانين مختلفين.

---

[1] المصدر نفسه، ص131-135

[2] المصدر نفسه، ص 86-102

ونقض السموأل لإنكار اليهود النسخَ، في الواقع هو نقض لإنكارهم نبوة عيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) وإثبات لإمكانيتها.

ج- نقد المفهوم اليهودي للنبوة

يجعل اليهود النبوة لموسى فقط وينفونها عن محمد وعيسى (عليهم الصلاة والسلام)، وهذا النفي والإنكار لنبوتهما هو ما يريد السموأل دفعه، ويروم إثبات نقيضه، وذلك عن طريق الآتي:

- لا يسع عاقلا أن يكذِّب نبيا ذا دعوة شائعة، وكلمة قائمة، ويصدق غيره، لأنه لم ير أحدهما، ولا شاهد معجزاته، فإذا اختصّ أحدهما بالتصديق والآخر بالتكذيب، فقد تعين عليه الملامُ والإزراءُ عقلا. والتواتر موجود لمحمد وعيسى كما هو موجود لموسى، فيلزم التصديق بهما، وآباء اليهود لا تَرْجُح على آباء الناس بالصدق والمعرفة، حتى يصِحَّ نقلهم، ويبطل غيره[1].

- بعد هذا الاستدلال العقلي، يحاول السموأل إثبات نبوتهما من خلال ما ورد في بعض نصوص التوراة التي عند اليهود. فبالنسبة لعيسى (عليه السلام) أورد الفقرة الآتية: «لا يزول الملك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح»، ثم يقول في شرحها مخاطبا اليهود: «أفما علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة وملك، إلى ظهور المسيح، ثم انقضى مُلككم، فإن لم يكن لكم اليوم ملك، فقد لزمكم من التوراة، أن المسيح قد أرسل...»[2]. ومن الفقرات الأخرى التي استدل بها على نبوة عيسى ومحمد بالإضافة إلى موسى (عليهم الصلاة والسلام) الفقرة أو الآية الآتية:« إن الله تعالى من سيناء تجلَّى، وأشرق نورهُ من سِعِير، وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسين» فهذه الأماكن كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء، سيناء لموسى وسيعير لعيسى وفاران لمحمد (عليهم الصلاة والسلام)[3]. ومن المواضع التي يستدل بها على نبوة محمد (عليه الصلاة والسلام) «نبيًّا أقيم لهم، من وسط إخوتهم

---

[1] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص91-93

[2] المصدر نفسه، ص102

[3] المصدر نفسه، ص118

مِثلك، به فليُؤمِنوا»[1]. وأيضا و«أمّا في اسماعيل فقد قبلتُ دعاءكَ، هاأنا قد باركتُ فيهِ، وأثمِره، وأكثره جدًّا جدًّا»[2] هذا طبعا بالعودة للنص العبري لهذه الفقرات، ثم شرحه لها استنادا لمعرفته باللغة العبرية والتوراة وعلومها.

– ومن الدلائل التي يذكها السموأل على صحة نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) فصاحة القرآن المعجزة التي لم يبار فيها[3].

– كما قام السموأل بنقد اليهود في نسبتهم للأنبياء صفات لا تليق بهم، كالدياثة والزنا وزنا المحارم والطعن في النسب وشرب الخمر...

د- نقد التوراة

يرى السموأل أن التوراة التي بأيدي اليهود هي كتاب ألفه "عِزرا" وليست كتاب الله الموحى به، ويذكر أن عزرا ليس هو العزير كما يظن، لأن العزير هو تعريب "ألعازر"، فأما عزرا إذا عُرِّب لم يتغير حالُه، لأنه اسم خفيف الحركات والحروف، وعزرا عندهم ليس نبيا، بل يدعونه "عِزْرَا هَسُوفِير" "**עזרא הסופר**" أي عزرا الناسخ[4]. وهو يرجع سبب ضياع التوراة الأصلية إلى أنها لم تحفظ إلا عند الأحبار الهارونيين، ولم تكن متداولة عند بقية بني إسرائيل باستثناء نصف سورة تدعى "هاأزينو"، وأن هؤلاء الأحبار الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها، قتلهم جميعا "بختنصر" البابلي عند دخوله بيت

[1] المصدر نفسه، ص111

[2] المصدر نفسه، ص115

[3] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص188

[4] المصدر نفسه ، ص152، يذكر السموأل أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين فلما ولي طالوت، وقتل منهم مقتلة عظيمة، بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم، ولما كان عزرا هارونيا كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف فصلين طاعنين في نسب داود، أحدهما: قصة ابنتي لوط، والآخر قصة ثامار، المصدر نفسه، ص151، 152

مجلة المعيار ISSN :2588-2384
مجلد: 23 عدد: 45 السنة: 2019

المقدس، كما أن حفظ التوراة لم يكن فرضا ولا سنّة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة، وهو الأمر الذي هيأ لعزرا تلفيق التوراة الحالية التي بين أيديهم[1]. ومن أسباب ضياع أسفارهم تواتر الآفات على شرعهم من قبل ملوكهم، وعبادتهم الأصنام، وقد ترك معظم بني إسرائيل أحكام التوراة مدة طويلة وأعصارا متصلة، واستيلاء الأمم عليهم (من الكنعانيين والبابليين والفرس واليونان والرومان)، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم، وتعطيل شريعتهم...[2]

وإذا كان السموأل تحدث عن **النقد الخارجي** للتوراة، وهذا من خلال ذكره لطريقة تناقلها التي ساعدت على ضياعها ، وأيضا ما لاقاه اليهود من إكراه على تغيير دينهم من ملوكهم والأغيار وتحريق كتبهم وقتل علمائهم...، لم يغفل عن **النقد الداخلي** لها حيث تحدث عن مخالفتها للعقل والشرع من خلال ذكره للتجسيم الفاضح في فقراتها ونسبتها الفواحش للأنبياء، كما لم ينسَ، وهو الطبيب الفذُّ، ذكر مخالفتها للعلم أيضا.

رابعا- أهمية كتاب "إفحام اليهود" في الدراسات النقدية الدينية

1- أهميته في المجال الإسلامي

لكتاب الإفحام أهميته البالغة في المجال الإسلامي، حيث نجد أن العديد من علماء المسلمين استفادوا منه في ردهم على اليهود وجدالهم معهم، ومن هؤلاء ابن القيم (ت751هـ) الذي ضمن كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"[3] صفحات عديدة من كتاب السموأل بألفاظها، وقد ذكر اعتماده عليه في كتابه وإن لم يصرح باسمه، حيث يقول في أحد المواضع عنه: «قال بعض علمائهم

[1] المصدر نفسه ، ص135- 139

[2] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص143-145

[3] الصفحات التي وجدنا ابن القيم ينقل فيها عن الإفحام، هي الصفحات الآتية: ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهودي والنصارى، دار العقيدة، الإسكندرية، ط1، 2005، ص65- 69، 140- 142، 172- 179

الراسخين في العلم ممن هداه الله إلى الإسلام»[1]، ثم قام بنقل فقرات عديدة من كتاب السموأل بألفاظها، كما اعتمد اعتمادا كليا في كتابه "إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان" على الإفحام في مجادلته اليهود، و نقل عنه أيضا في كتابه "أحكام أهل الذمة"، كما استفاد منه أستاذه ابن تيمية (ت728هـ)[2]، وأيضا قبلهما القرافي (ت684هـ) الذي نقل كثيرا مما كتبه السموأل خصوصا فيما يتعلق بتحريف التوراة، وإثبات نبوة عيسى (عليه السلام)[3].

2- أهميته في المجال اليهودي

سبَّبَ كتاب الإفحام إزعاجا كبيرا لليهود، حتى أن الفيلسوف اليهودي الشهير سعد بن منصور بن كمونة (ت683هـ) قد ألف كتابه "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث" في مقام الأول، للرد على كتاب الإفحام[4]، وهذا بعد حوالي قرن من تدوينه. وقد كتب غير السموأل من علماء اليهود الذين أسلموا في نقد اليهودية، ومن هؤلاء "سعيد بن حسن الإسكندراني" والذي دوّن كتابه "مسالك النظر في نبوة سيد البشر" سنة 720هـ، ولكن لا يعلم أن أحدا من اليهود ردَّ على هذا الكتاب، ويعلل محقق هذا الكتاب ذلك بأنه ربما يعود إلى «عمق كتاب السموأل وقيمته العلمية الرفيعة، وبعد تأثيره في اليهود، بينما لم يتمتع كتاب مسالك النظر بهذه المزايا المتعددة التي جمعت في كتاب السموأل»[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص140

[2] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص31، 113

[3] الصفحات التي وجدنا القرافي ينقل فيها عن الإفحام، هي الصفحات الآتية: شهاب الدين القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، تح: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2005، ص94، 100- 102

[4] محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان: بحوث ودراسات، دار الجيل، بيروت، ط2، 1990، ص119

[5] سعيد بن حسن الاسكندراني، مسالك النظر في نبوة سيد البشر، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الزهراء، مصر، د.ط، د.ت، ص35

وبالعودة لكتاب التنقيح للفيلسوف اليهودي ابن كمونة، نجده يذكر اسم كتاب السموأل في عدة مواضع محاولا الرد على ما تضمنه من نقد لليهودية[1].

وفي وقتنا المعاصر، نجد أن أول من قام بنشر هذا الكتاب المستشرق اليهودي "موشي برلمان" وترجمه للإنجليزية ، و قد طُبع في المجمع الأمريكي للبحوث اليهودية سنة 1964م[2].

3- أهميته في مجال النقد الغربي الحديث

في هذا المجال نكتفي بما ذكرته المستشرقة المعاصرة "حافا لازروس يافيه" (ت1998م) في كتابها الذي ترجم إلى العربية تحت عنوان "الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط"، حيث جاء فيه: «فالكتاب غير المسلمين الذين نقلوا اتجاهات ابن حزم والصموأل النقدية للتوراة قد شكلوا حلقة وصل لنقد التوراة الإسلامي في العصور الوسطى مع بدايات الجهود البحثية الأوربية للتوراة...فلقد عرف مفسر التوراة والكاتب اليهودي أبراهام بن عزرا (ت1164م) العربية جيدا، وارتحل كثيرا، وكانت له صلات شخصية مع حلقات فلسفية عقلانية في بغداد، والتي ينتمي إليها الصموأل المغربي. فلقد ذكره اسبينوزا ومدحه كثيرا بسبب ملاحظاته النقدية عن تأليف التوراة وعن عزرا»[3]. ومعلوم أن الفيلسوف اليهودي الشهير باروخ اسبينوزا (ت1677م) فك ألغاز ابن عزرا التي احتوت آراءه النقدية بخصوص التوراة، وعن طريقه قبلت عند الباحثين كقانون ثابت[4].

---

[1] سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، تقديم وتعليق: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد- بيروت، ط1، 2013، ص76، 177، 182

[2] السموأل المغربي، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ص35

[3] حافا لازاروس يافيه، الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، تر: محمد طه عبد الحميد، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، ط1، 2007، ص175

[4] أحمد محمود هويدي، نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014، ص63

خاتمـة

في ختام هذا البحث، يمكن أن نجمل أهم النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

- أكّد البحث على أن السّموأل من كبار دارسي الأديان ونقّادها في الفكر الإسلامي والعالمي أيضا، وهذا من خلال تمكنه من علوم متعددة يندر اجتماعها في شخصية واحدة، وقد كان لكتابه "إفحام اليهود" أثره الواضح في كتابات علماء المسلمين حيث نقلوا فصولا مطوّلة منه، وضمّنوها كتبهم، كما كان له أثره في البيئة اليهودية، والنقد الغربي الحديث للكتاب المقدس.

- العودة للنصوص الدينية في لغتها الأصلية شرط ضروري وأساس لدراسة أية ديانة و نقدها، وهو ما نبّه عليه السموأل في مفتتح كتابه، والتزمه في جميعه، حيث كان يورد النصوص في لغتها الأصلية، أي بالعبرية، ثم يقدم لها ترجمة تفسيرية بالعربية، مستفيدا من تمكنه اللافت من اللغتين وثقافتهما.

- وظّف السموأل في نقده لليهودية الأساليب العقلية والمنطقية، وقد كانت ردوده واضحة ومختصرة ودقيقة، كما نجده قد وظّف معرفته بالعلوم الطبية. وفي الكتاب استخدام للمنهج التاريخي خاصة عند حديثه عن تبديل التوراة.

- كتاب الإفحام وثيقة تاريخية مهمة، حيث نجد فيه وصفا دقيقا لواقع المجتمع اليهودي الذي عاصره السّموأل، وعاش فيه طفولته وشبابه، وتعرف على أسراره وخباياه.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- كتب السموأل المغربي

1. إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل/مكتبة الزهراء، بيروت/القاهرة، ط1، 1983
2. بذل المجهود في إفحام اليهود، تقديم: محمد أحمد الشامي، دار بيبليون، باريس، د.ط، 2005
3. بذل المجهود في إفحام اليهود، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، دار القلم/الدار الشامية، دمشق/بيروت، ط1، 1989
4. منامات السموأل ويليه بذل المجهود في إفحام اليهود، تح: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق، ط1، 2014

ثانيا- الكتب العربية والمعربة

5. أحمد محمود هويدي، نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014
6. ابن أبي أصيبعة الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره: أوجست ملر، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1995
7. بنيامين بن يونة التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تر: عزرا حداد، تح: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق، ط1، 2014
8. جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005
9. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت
10. حافا لازاروس يافيه، الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، تر: محمد طه عبد الحميد، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، ط1، 2007
11. خير الدين الزِّرِكلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002

12. سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، تقديم وتعليق: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد- بيروت، ط1، 2013

13. سعيد بن حسن الاسكندراني، مسالك النظر في نبوة سيد البشر، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الزهراء، مصر، د.ط، د.ت

14. شهاب الدين القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، تح: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2005

15. صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000

16. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999

17. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997

18. عمر رضا كَحَّالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1975

19. ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهودي والنصارى، دار العقيدة، الإسكندرية، ط1، 2005

20. محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان: بحوث ودراسات، دار الجيل، بيروت، ط2، 1990

21. موريتس شتينشنيدر، أدب الجدال والدفاع في العربية بين المسلمين والمسيحيين واليهود، تر: صلاح عبد العزيز محجوب إدريس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005